

## ثقافة المتنبي ومصادرها<sup>(١)</sup>

في فاتحة القرن الرابع للهجرة ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في الكوفة وفيها نشأ وترعرع وشب ٦ وفيها تعلم وثقف ٦ وفيها انبجست قريحته بالشعر ٦ فجوّده وأحكه ٦ وفيها بلغ درجة الشعراء المفلحين .

ثم شاء القدر أن ننبؤ به وأن يمتوئها ٦ فأجمع أمره على مفارقتها وضمّ جراميزه إليه ٦ ثم سار منها إلى بلاد الشام ٦ فوضع فيها عصي الحاضر المتخيم ٦ وفيها غزراً أدبه وحصف عقله ٦ وظهرت مقلدات شعره ٦ فسطع نجمه ٦ وذاع صيته ٦ حتى ملأ الدنيا وشغل الناس .

وقد رزق أبو الطيب السعادة التامة في شعره ٦ وكتب له من الرواج في أيّام الملوك والأمراء والوزراء وأعيان الأمة ورجال العلم والأدب ما لم يكتب لغيره ٦ ونال شعره من سرعة الشيوخ والانتشار في القاصية والدانية ما لم ينله شعر آخر ٦ حتى سارت به الركبان ٦ وأنست به السمار ٦ وعمرت مجالس العلم والأدب .

وطمع كثير من الطامعين في الشهرة الطامحين إلى الخلود أن يخلد ذكرهم في شعره الخالد ٦ واستدعوه إلى قصورهم ومقار عظمتهم وسلطانهم ٦ وبدلوا له في سبيل ذلك أموالاً عظيمة ٦ ومنهم من وعده أن يشاطره ماله ويغمره بالهبات والأعطيات ٦ فلبى فربقاً وترفع عن إجابة آخرين .

(١) هذه كلمة في ثقافة المتنبي ومصادرها ٦ أقيمت مختصرة في حفلة مهرجان المتنبي التي أقيمت في مدرج الجامعة في يوم ٢٩ تموز سنة ١٩٣٦ .

وحسده الناس على فضله وأدبه وتفسوا على مدوحيه مدحه و أكثر منتقدوه وغائبوه من حسائه و ممن ترفع عن مدحهم ومن أشياعهم ، وفي مقدمة هؤلاء الصاحب بن عباد في فارس والوزير المهلبى في بغداد وأبو الفضل بن حنزية في مصر ، فإن هؤلاء لم يدخروا وسعاً في الكيد له ، وإثارة الشعراء والعلماء والملوك عليه ، والبحث والتنقيب عن مساوئه هم وأشياعهم .

وتوفر العلماء والأدباء على دراسة شعره ، ورأى فربق منهم الحق في جانبه فتولى الانتصار له والرد على خصومه الذين أرادوا أن يطمسوا نجوم السماء بأكفهم ويطلقوا نور الله بأفواههم ، فظهر من هذا وذاك ما كان في كلامه من الآيات المعجزة والروائع الباهرة ، واطلع عليها من قصر فهمه عن إدراكها ، فازدادوا إعجاباً بأدبه وحسداً لفضله وثنقياً عن مساوئه ومثالبه ، وازداد الآخرون إظهاراً لمحاسنه ومناقبه .

وقلما وجد الباحث ناحية من نواحي هذا الشاعر الفذ ، إلا وقد قتلها العلماء بجثاً وأشبعوها تمحيصاً وتحقيقاً ، ما خلا ثقافته ومصادرها فإن حظهما من ذلك قليل عند المتقدمين وأقل من القليل عند المتأخرين ، لا ينقع غلة ولا يشفي علة ، وهو على قلته محفوف من الغموض والشكوك بجبب مصمتة لا تنفذ منها أشعة البحث ، محاط بجواجز من التناقض في الأقوال والتضارب في الآراء التي نقلها المتأخر عن المتقدم وطبع فيها الآخر على غرار الأول من غير تمحيص ولا تدبر ، فكانت الحقيقة فيها أخفى من السهي وأغمض من السر في الضمير .

## ثقافة المتنبي

مبدوها ، منتهاها ، مكان كل منها

لقد تصدى كثير من العلماء والأدباء لذكر المتنبي وأطالوا القول في نبيته ومدحه بجودة شعره ، وانتشاره واطلاعه على العرب وما شا كل ذلك ، ولكن منهم من أعرض عن التصدي لثقافته ، ومنهم من أوجز فيها إيجازاً مخللاً .  
ومن ذكره من هؤلاء ابن الأباري في تزهة الألباء في طبقات الأدباء ،

والبديعي في الصبح المنبي ، والأصفهاني في إيضاح المشكل ، والشعالي في بتيمة الدهر في نحو تسعين صفحة ، وابن ثوري بتردي في النجوم الزاهرة ، وابن العماد في شذرات الذهب ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، والمثاني في معاهد التنقيض ، وابن نباتة في مسرح العيون ، والبغدادية في خزانة الأدب ، وأبو الفداء ، وابن الوردي في تاريخيهما ، وابن حجر في لسان الميزان ، والخطيب في تاريخ بغداد ، والعكبري في شرح دهبوانه ، والواحدي كذلك .

وليس في كلام هؤلاء الاعلام ما ينير السبيل للباحث عن ثقافة المتنبي الا ويبيض يسير نسير على ضوءه الضئيل في هذا المجال القائم ، وإن كان الجمع بين ما فيه من التناقض أشق من عقد شعيرة على الاجذم ، وأصعب من الجمع بين الماء والنار .

ويمكن أن يلخص كلام هؤلاء القوم ومن احتذى على مثالهم من بعدهم ، بأن فريقاً منهم زعم أن أبا الطيب ولد في الكوفة وفيها ترعرع ، واختلف الى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة ، فتعلم دروس العربية لغة وشهراً وإعراباً ، وخرج الى البادية ، فصحب الاعراب ، وعاد بعد سنتين بدوياً قحاً ، ونظر في أيام الناس ، وأكثر ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم ، وقال الشعر صبيحاً ، ووقع في صفه الى رجل بالكوفة من المتفلسفة يكنى أبا الفضل فهوّسه وأضله كما ضل .

وزعم فريق آخر أنه ، وإن كان كوفي المولد ، شامياً المنشأ سافر به أبوه الى بلاد الشام وهو صبي ، فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرزها ، ويسلمه الى المكاتب ، ويردده في القبائل ، واشتغل فيها في فنون الادب ومهر فيها وتضلع من علم اللغة ؛ وأنه تخرج بها ومنها خرج نادرة الفلك .  
ومنهم من جمع بين الأمرين : تعلمه بالكوفة وتعلمه بالشام .

وفي هذه الأقوال على تباينها شيء من الحقيقة ، ولكنه منتشر في تضاعيف الكلمات انتشار ذرات الذهب في معدنه بين التراب والصخر ، لا يتسنى أن يصاغ منها شيء من الحلي ، حتى يحصلها المعدن ، ثم يحضنها وينقيها ، ثم يؤلف بيتها ، ثم يصهرها ، ثم يفرغها بعد ذلك في القالب الذي يريد به .

وهذا ما نريد معالجته في هذه الكلمة الموجزة في الوقت الموجز .  
 قد رأينا هؤلاء العلماء انفتحت كتبهم على أنه ولد في الكوفة ، واختلفت في  
 المكان الذي نشق فيه ، وليس في أقوالهم ما يكشف القناع عن وجه الحقيقة  
 الناصعة ، إذ لم يبين فيها ما درسه في الكتاب من اللغة والشعر وغيرهما ، ولا ما هوته  
 به أبو الفضل الضال المضل ، كما لم يبين من هم الأعراب الذين صحبهم ، والوراقون  
 الذين لازمهم ، والعلماء الذين لازمهم في الكوفة أو في الشام ، ولا ما هو الذي أخذه  
 عن كل منهم ، ولا ما تعلمه في مكاتب الشام ، ولا ، ولا .  
 وكل ما ذكره مما أسلفنا ذكره وأمثاله مما ضربنا عنه الذكر صفحاً كلمات بجملة  
 يقول مثلاً المادح أو القادح ليقضي منها حاجة في نفسه ، ولكن الباحث الذي يتوخى  
 البسط والإبانة والتفصيل لا يستطيع أن يتخذها أساساً يقيم عليها صروح بحثه .  
 وقد يخيل إلي أن أقرب شيء تسكن إليه النفس في هذا أن يقال : إن المتنبي  
 درس في الكوفة اللغة ، وفيها نشق ونال الشعر الجيد ، ولكن لم يشتهر كثيراً ،  
 ثم خرج إلى الشام سنة ٣٢١ ، وكان عمره إذ ذاك ثمان عشرة سنة ، فاطلع على ثقافة  
 أهلها ، واجتمع بطائفة من علمائها وأدبائها ، وتابع الدراسة ، فازدادت ثقافته وغزرت  
 مادته واستحصد شعره وحصف عقله وشاع ذكره ونضج أدبه .  
 والدليل على هذا أمران ، الأول : أن المؤرخين رووا له آياتاً قالها في صباه  
 في المكتب وهي :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني      و فرق الهجر بين الجفن والوسن  
 روح تردد في مثل الخلال إذا      أطارت الريح عنه الشوب لم بين  
 كفى بجسني نحولاً اني رجل      لولا مخاطبتي إياك لم ترني  
 ورووا له قصيدة مدح بها رجلاً يقال له أبو الفضل ، وقد أراد أن يستكشفه  
 عن مذهبه ، ولا أعلم إن كان أبو الفضل هذا هو الذي هوته وأضله أم غيره ، يقول  
 فيها متغزلاً :

غصت على تقوى فلاة نابت      شمس النهار نقل ليلاً مظلماً  
 لم تجتمع الاضداد في متشابه      إلا لتجعلني لغرمي مغتماً

ويقول مادحاً :

يا أيها الملك المصفي جوهرأ من ذات ذي الملكوت أسمى من سما  
نور نظاهر فيك لاهوتية فتكاد تعلم علم ما لن تعلمها

\*\*\*

كبر العيان علي حتى انه صار اليقين من العيان توهما  
يا من لجود يديه في أمواله تقم تعود على اليتامى أنهما  
وذكر وواله قصيدة قالها في صباه حين اجتاز برأس عين سنة ٣٢١ ، وذلك أن  
سيف الدولة أوقع بعمر بن حابس من بني أسد وبني ضبة ورباح من تميم ، فمدحه بها  
ولم ينشده إياها ، فلما لقيه دخلت في جملة المديح ، مطلعها :

ذكر الصبا ومراتع الآرام - جلبت حمامي قبل يوم حمامي  
دمن تكاثرت الهموم علي في - عرصاتها كتكاثر اللوام  
وفيهما يقول متغزلاً :

فكان كل صحابة وكفت بها - تبكي بعيني عروة بن حزام  
ليس القباب على الركاب وإنما - هن الحياة ترحلت بسلام  
لبت الذي خلق النوى جعل الحصى - لخفافهن مفاصلي وعظامي  
ويتخلص الى المدح فيقول :

لم يتر كوا لي صاحباً إلا الامى - وذميل درعبله كفحل نعام  
وتعذر الاحرار صير ظهرها - إلا اليك علي فرج حرام  
أنت الغربية في زمان أهله - ولدت مكارمهم لغير تمام  
ملك زهت بمكانه أيامه - حتى افتخرن به على الايام  
وتجأله سلب الورى أحلامهم - من حلمه فهم بلا أحلام  
ويقول فيمن عصوا الاير :

فتركتهم خلل البيوت كأنما - غفبت رؤوسهم على الاجسام  
أحجار ناس فوق أرض من دم - ونجوم بيض في سماء فنام

وروا له شعراً كثيراً قاله في صباه فيه من عيون الكلام وروائع الشعر ما بندر مثله في غير كلام الفحول .

وهذا الشعر المذكور وأمثاله شعر محكم التأليف مصقول الديباجة صحيح المعنى مشتمل على شيء من مصطلحات العلوم كجمع الأضداد في منشابه والغرم والمغتم والجوهر واللاهوتية والعيان واليقين والتوهم ونحوها ، وعلى الإشارة إلى رجل اشتهر في التاريخ بحبه وهو عروة بن حزام ، وعلى كثير من الطباق والجناس وغيره من صناعة البديع كلهوى والنوى والغرم والمغتم والنقم والأنعم ونحوها ، وعلى ضروب من المجاز اللطيف والتشبيه الرائع والكنابات الجميلة وما شاكل ذلك مما لا ينسى لشاعر أن يأتي بمثله إلا بعد أن يهر في الشعر ويحتك .

ولئن كان فيما قاله المتنبي من الشعر بعد هذا ما هو أجود منه وأعلى فإن كل شاعر لا يكون شعره في أول عهده بالشعر الأعلى من شعره بعد أن يتمرس به عهداً طويلاً ولا تبلغ باكورة شعره في قريحة شبابه ما يبلغه شعره بعد أن يزاول الشعر ويعالجه بعد أن ينضج أدبه ويستحصف عقله وتكمل ثقافته .

وبهذا ينضح لنا أن قول الثعالبي وأبن خلكان ومن ترسم خطاهما أنه قدم الشام صبيّاً وجال في أقطارها ودخل المكاتب وتخرج بها الخ . . قول لا يؤيده الواقع ولا نقره الحقيقة .

الأمر الثاني : ما رواه المؤرخون من أنه كان يصحب ديواني أبي تمام ، والبحثري حتى إنه لما قتل وجدنا معه بخطه وعلى الحواشي علامة كل بيت أخذ معناه وصلخه ، وأنه كان له دفاتر كان يصحبها حيناً يرسلها وكان كثير الإشفاق عليها لأنه انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، وأنها وجدت معه حين قتل .

وهذا دليل صريح على أنه ما فارق الدراسة والمطالعة حتى فارق الحياة . . وكان فوق هذا يخالط جماعة من الشعراء والأدباء والعلماء في بلاط سيف الدولة وغيره . وهذا القدر كافٍ في الدلالة على أن المتنبي ابتداءً تثقفه وقوله الشعر الجيد في الكوفة وأتم الأمرين معاً في بلاد الشام ، ومنه يتبين لنا المكان الذي ابتدأت فيه ثقافته والمكان الذي تمت فيه .

### تقسيم ثقافته ومصادرها

ومن المفيد أن نقسم ثقافة المتنبي إلى أقسام يتميز كل واحد منها من الآخر ليسهل ضبطه ونفرته من قسيميه وإن كان بعضها مشتركاً مع غيره في بعض الوجوه، ثم نبين مصدر كل منها بقدر ما سمحت لنا النصوص فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام لغوية وأدبية وعلمية ولكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة مصدر مجهول ومصدر معلوم؛ أما المصدر المجهول فتشترك فيه الأقسام الثلاثة على السواء، وهذا المصدر لم يسعف البحث بمعرفته معرفة تكشف النقاب عن حقيقته، وذلك ما تقدم ذكره من مثل دخوله الكتاب في الكوفة والمكاتب في الشام (إذا صح ذلك) وخروجه إلى البادية وصحبته الأعراب وملازمته الوارقين ودفاتره ولزومه العلماء وبما شاكل هذا من المصادر المبهمة المجهولة التي لم يبين ما نعلمه وما أخذ من كل منها.

ولكل قسم مصدر آخر معلوم تحته أنواع متعددة أو مصادر أخرى معلومة يتميز بها من قسيميه وقد يشارك غيره في بعضها.

### ثقافته اللغوية

من مصادرها كلام الشعراء الذين زعموا أنه أخذ معانيه منهم كما يرى القيس والذبيعة وزهير وغيرهم من سيأتي ذكرهم في ثقافته الأدبية.

ومنها أنه وجد في أشعاره وأخباره ما يدل على تضلعه باللغة وإطلاعه على أسرارها ودقائقها وغريبها إطلاعاً حملاً على الإعجاب بنفسه والتعرد على بعض مذاهب النحاة واحتقاره مثل ابن خالويه في مجلس سيف الدولة وأبي الفرج الأصفهاني وغيره من الأدباء والعلماء في مجلس الوزير المهدي وأبي علي الأمدى شيخ الجماعة في حضرة الوزير أبي الفضل بن خنزابة في مصر.

فما ورد في شعره قوله:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلتى عليه الجوازمُ  
وقوله:

أمضي إرادته فسوف له قدُ واستقرب الأقصي فثمّ له هنا

قوله :

وكان ابنا عدو كاثراه له يا سي حروف أنيسيان

وقوله :

حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت باستفهامها بين

وماروي في أخباره : أن أبا علي الفارسي قال له يوماً : كم من الجوع على فعلى ؟ فقال في الحال : حجلي وخربي . ( حجلي جمع حجلة أو اسم جمع لها لنوع من الطير وخربي جمع خربان ، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخراطوم أسود السراة أبيض الظهر كثير الفسوخ متن الرائحة ) . قال أبو علي : فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لذين الجمعين ثالثاً فلم أجد . وقال في المتنبي : مارأيت رجلاً مثله في معناه .

وأن الخاتمي لما ناظر المتنبي في بغداد ، سأله : ما الفرق بين التقديس والقُداس والقادس ؟ فقال له المتنبي : أي شيء غرضك في هذه المذاكرة بل المهاترة ؟ ثم قال له : التقديس التطهير ولذلك سمي القدس قدساً لاشتغاله على الذي يكون فيه الطهور وكل هذه الأحرف تؤول إليه ، فقال الخاتمي : ما أحسبك أعمت النظر في كتب اللغة وعلوم العرب ولو تقدم منك مطالعة لها ما جمعت بين معاني هذه الكلمات مع تباينها لأن القُداس حجر بلقي في البئر ليعلم غزارة ما فيه من قلته ، والقُداس يشبه الجمان يعمل من الفضة والقادس السفينة .

وإذا تأملنا جواب المتنبي على إيجازه وعلى أنه جواب على سؤال متعنت فوجى به . تبين لنا أنه جواب عالم باللغة مطلع على أسرار وضعها واشتقاقها ، فإن علماء اللغة قالوا : القُدس الطهر والبيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، والتقديس التطهير ، والقُدس الطاهر ، ونقدس لك نظهر أنفسنا لك ، والأرض المقدسة المطهرة ، وروح القدس روح الطهارة أي خلق من طهارة ، ولا قدست أمة لا طهرت ، والقدس والقدس قدح يتطهر به ، والقدس السطل لأنه يتطهر به ، ومن أسماء مكة قادس والمقدسة لأنها نقده من الذنوب أي تطهر ونحو ذلك ، ولا يضير المتنبي أن لا يعرف معنى القادس والقُداس والقُداس ، فإن كثيراً من أئمة اللغة توقفوا على معان لا يعرفونها



وما عرف التاريخ رجلاً وعى صدره معاني اللغة كلها حتى العرب أنفسهم ، فإت قرشياً قال له ملك حمير ( رَبِّ ) فلم يفهم معناه بلغة حمير فوثب فمات ، وإن عمر ابن الخطاب توقف في معنى الأب ؛ فإن كثيراً من أئمة اللغة جعلوا معاني بعض الكلمات وأخطأوا في تفسير بعض آخر . فالكسائي لم يفرق بين معنى عييت وأعييت حتى نُبه الى ذلك ، وأبو عبيدة سئل عن أسماء أعضاء الفرس فتوقف وقال لست ببيطار . وكفى المتنبي فضيلة أنه لم يهرف بما لم يعرف ولم يجب بغير ما يثق بعلمه ، على أن ما ذكره الحاتمي في تفسير القديس لم أر من ذكره من أئمة اللغة ، وإنما قالوا : هو حجر يوضع في حوض الإبل أو وسطه اذا غمره الماء رويت الإبل ، أو يطرح فيه يقدر عليه الماء بقتسمونه بينهم ، أو حصة يقسم بها الماء في المفاوز .

والحاتمي إنما تطوع بمناظرة المتنبي ليظهر على أكتافه ، ويتحدث الناس أنه ظهر عليه وأخفه ، ولينقح من ذلك غلة معز الدولة ووزيره المهلبى اللذين توقعوا من المتنبي أن يمدحها فترفع عن ذلك ، والحاتمي على ضلفه وتعنته لم يستطع أن يجحد فضل أبي الطيب وثفوقه وتفردده ، فقد قال في رسالته التي ضمنها مناظرة المتنبي : فلما علوته بالكلام قال : يا هذا اللغة مسلمة لك ، فقلت : كيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها وأعرفهم بأشتقاتها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك ؟ ثم قال في موضع آخر منها : ورأيت له حق التقدّم في صنعته فطأطأت له كنفى .

هذه شهادة خصم لدود وعدو شديد للمتنبي « والفضل ما شهدت به الأعداء » . وقال ابن خلكان فيه : إنه كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وجوشيا ، وإنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب . وقال الاصبهاني في إيضاح المشكل : وجملة القول فيه أنه كان من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو في كتاب الجهرة وهو قوله : « ٠٠٠ تطوى الجلحة العقد » ، وهذا من بيت وهو :

وأمضي كما يمضي السنان لطيفي وأطوي كما تطوى الجلحة العقد  
يريد بالجلحة الذئب الجريئة الشديدة الماضية ، وأطوي من الطوى وهو الجوع .

والعقد جمع أعقد وهو الذي في ذنبه عقدة أي التواء ، وذئب أعقد معوج .  
وقال أيضاً : كان المتنبي يفتش أبا الفضل بن العميد كل يوم ، وكان أبو الفضل  
يقرأ عليه دهبان اللغة الذي جمعه ويتمتع به من حفظه وجزارة علمه .  
ودهبانه طانح بالايات والكلمات الدالة على جزارة مادته وسعة اطلاعه وأخباره  
مكتظة بالادلة على هذا .

وكان أبو الطيب فوق هذا صنعاَ ماهرآ في صوغ الكلمات وتأليفها ، بلقآ بارعآ في  
تخير ما يلائم منها كل غرض ، حاذقآ في وضع كل كلمة في موضعها .  
قال ابن فوزجة أو فوزجة : قرأت على أبي العلاء المعري ، ومنزلته في الشعر ما قد  
علمه من كان ذا أدب ، فقلت له : ما ضرر أبا الطيب لو كان قال مكان هذه الكلمة  
كلمة أخرى أوردتها ، فأبان لي عوار<sup>(١)</sup> الكلمة التي ظننتها ، ثم قال : لا تظن انك  
تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فخرّب إن كنت مرتابآ ، وها أنا  
ذا أجرب هذا العهد فلم أقدر ، وليجرب من لم يصدق يجد الامر كما قلت . وشهادة  
أبي العلاء هذه تعدل شهادة أمة بأسرها أو تزيد ، وإنما يقدرها حق قدرها من عرف  
من هو أبو العلاء ، وما هو في اللغة والأدب والشعر ، وإن كانت لا تخلو من شيء من  
المبالغة التي سببها حب أبي العلاء المتنبي وتواضعه .

### ثقافته الادبية

ولثقافته الادبية غير ما سبق ذكره من المصادر مصادر أخرى منها اقوال الشعراء  
الذين زعم حساده انه اغار على معانيهم وسلخها ، ثم تصرف فيها بما شاء من زيادة ونقص  
وتوليد ونقض وقلب ، وهؤلاء الشعراء كثيرون منهم : امرؤ القيس ، والافوه  
الاودي ، والنايعة الديقاني ، وزهير ، والحسين بن الحمام المري ، وعنترة ، وذو الاصبغ  
العدواني ، والاعشى الاكبر ، وعروة بن الورد ، وحاتم الطائي ، وربيعه بن مرداس ،  
وابو صخر الهذلي ، والمثقب ، وعروة بن عتبة ، والعوام بن عمرو ، وادس بن حجر ،  
وابو جويرية العبدي ، وخفاف بن غصن البرجمي ، وحطاب بن يعفر ، والحزبن الدؤلي

(١) العوار بالفتح العيب وقد يضم .

وقيس بن الخطيم ، وقيصر الاسد ، وعين بن مالك ، وعلاقة بن عربي ، ولييد ، وإياس  
الكلابي ، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وذؤيب بن كعب التميمي ، وعبد  
يفوث ، ومضرس بن ربيعي ، والحادرة ، وجابر بن حباب ، وتأبط شراً ، وسويد ابن  
ابي كاهل ، وأممية بن ابي الصلت ، وخداس بن زهير ، وعنترة بن الاخرس ، وزباد  
البيدي ، وطرفة ، والنايفة الجعدي ، وحسان بن ثابت ، وعمرو بن معد بكر ،  
والعباس بن مرداس ، والاهثم بن سنان ، وعلقمة بن اسوى ، وأحيحة بن الجلاح ،  
والفرزدق ، وجريز ، والاخلط ، وكثير ، والطرماح ، وعمر بن ابي ربيعة ، والراعي  
وذو الرمة ، وقيس بن ذريح ، ويزيد بن الطثيرة ، وعقيل بن غفلة ، والكايت ،  
والجلاح ، واعشى باهلة ، ونصر بن سيار ، وسالم بن ابصة ، ومتهم بن نويرة ،  
والبغيث ، والاعور الشني ، وعدي بن الرقاع ، والمؤرج بن عمر ، وابو العميث ،  
والخطيئة ، وزباد الاعجم ، وعمران بن حطان ، وعبد الرحمن بن داره ، وعميرة ابن  
جعيل ، وعمر بن الاهثم ، ورؤبة ، وعبد الله بن الزبير الاسدي ، وثابت بن قطنه  
العتكي ، وعبد الله بن معاوية ، وابن الرقيات ، وهدبة بن الخشرم ، وزفر بن الحارث ،  
وابن هرمة ، وبشار ، وحماة ، والعتابي ، وأبو العتاهية ، ومروان بن ابي حفصة ،  
وابو الشيب ، وأبو نواس ، وأبو تمام ، والبحري ، وابن الرومي ، والعباس بن الأحنف ،  
وابن المعتز ، وأبو هفان ، وابن الخياط ، وعبد الله بن طاهر ، وأشجع السلمي ، وعلي  
ابن جبلة ، وبكر بن النطاح ، والناشي الأكبر ، وعبد الله بن محمد المهدي ، وموسى  
ابن جابر الحنفي ، وأبو دلف ، ومسلم بن الوليد ، وديك الجن ، ودعبل ، ومحمود الوراق  
وعلي بن الجهم ، ويعقوب بن الربيع ، ومحمد بن وهيب ، ومنصور النعري ، وأبو سعيد  
الحزومي ، وأبو عطاء السندي ، وأحمد بن أبي فنن ، والعتبي ، ومنصور الفقيه ،  
وابن المعتز ، والخليع ، وعلي بن الخليل ، والخبز أرزي ، والحمدوني ، وابن الناصر ، وخالد  
الكتاب ، والخرمي ، وأحمد بن طاهر ، وسعيد بن حميد ، وأبو طاهر ، وإبراهيم ابن  
المهدي ، ويزيد المهدي ، ويحيى بن زياد ، والسيد ، والحيم الراسبي ، وصالح بن عبد  
القدوس ، وسلم الخاسر ، وحمزة بن بيض ، والطرمي ، وأبو حفص الشطرنجي ،  
وإسحاق بن خلف ، والناجم ، ومنصور بن بسام .

و كثير من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين ممن سُموا وعمن لم يُسموا .  
 زعموا أن أبا الطيب أغار على معانيهم فانتزعها ، أو أغار على من أغار عليها فانتزعها منه .  
 ومن مصادر ثقافته الأدبية أقوال الحكماء ، فقد زعم فربق من المولعين بالأغراب من شراح دهبائه وغيرهم ، أنه أخذ كثيراً من معاني الحكماء وجعلها في شعره ، وذلك مثل قوله :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ  
 قالوا : إنه أخذه من كلام أرسطاطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . وقوله :

أرى أناساً ومحصولي على غنمٍ وذكر جود ومحصولي على الكرم  
 من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم ،  
 لأننا نعلم أنها متى خلي بينها وبين ما تريد لم تفعل شيئاً غير ذلك . وقوله :  
 ورُبَّ مالٍ فقيراً من سرورته لم يثر منها كما أثرى من العدم  
 من قول الحكميم : من أثرى من العدم افتقر من الكرم ، وقوله :  
 وشبه الشيء منجذب إليه . وأشبهنا بدينانا الطغام  
 من كلام الحكميم : الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أن الأضداد مباينة  
 لأضدادها . وقوله :

ذلٌّ من يغبط الدليل بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخف منه الحام  
 من كلام الحكميم : إذا لم تنصرف النفوس في شهواتها : فحياتها موت ووجودها  
 عدم . وقوله :

كل حلم أتى بغير اقتدارٍ حجة لاجئٍ إليها اللثام  
 من كلام الحكميم : الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم لا يكون إلا عن قدرة ،  
 والعجز لا يكون إلا عن ضعف . وقوله :  
 ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة بنعم

من كلام الحكيم : العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها ، والجاهل يظن  
 أنها خالدة وهو باق عليها ، فهذا يشقى بعلمه وهذا ينعم بجهله . وقوله :  
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم  
 من كلام الحكيم : الصبر على مفض الرياسة ينال به شرف النفاسة . وقوله :  
 الظلم من شيم النفوس فإن تجدد ذا عفة فلعله لا يظلم  
 من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى عاتين :  
 إما علة دينية أو علة سياسية كخوف الانتقام . وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كالظلم  
 من كلام الحكيم : كروز الأيام أحلام ، وغداؤها أسقام وآلام . وقوله :  
 سبحانه خالق نفسي كيف لدهتها فيما النفوس تراه غايبة الألم  
 من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدر كها أما كن البقاء ،  
 وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها . وقوله :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقى عمره مثل ذاهب  
 من قول الحكيم : آخر حركات الفلك كأوائها ، وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة  
 لا في الحس . وقوله :

فهذه الأرواح من جوت هذه الأجساد من تربه  
 من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد الى  
 عنصره . وقوله :

تبخل أبدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه  
 من قول الحكيم : إذا كان ناشئ الأرواح من كروز الأيام فمالنا نعان رجوعها  
 الى أما كنها . وقوله :

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في خربه  
 من قول الحكيم : آخر إفراط التوقي أول موارد الخوف . وقوله :  
 أرى كلنا يبغى الحياة بسعيه حريصاً عليها مستهماً ما بها صياً  
 نحب الجنان النفس أوردته التقي وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

من قول الحكيم : النفس المتجوهرة - تأتي مقارنة الذل جداً وترى فناءها في طلب العز حياتها ، والنفس الدنية بصد ذلك . وقوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحمام مرة المذاق  
من قول الحكيم : النفوس البيهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك  
تصعب عليها مفارقة أجسامها ، والنفوس الصافية بصد ذلك .

وأمثال هذا كثير في شعره ، بما زعموا أنه اقتبس من كلام الحكماء ، بين حكيم  
معلوم سمي وبين حكيم مجهول لم يسم .

ولو استطاع خصومه لنسبوا كل جيد من معانيه إلى غيره من الشعراء والحكماء ،  
وإذا صح كل ما قيل فأبو الطيب أوسع الشعراء اطلاعاً على كلام الفحول من حكماء  
وشعراء ، وأبصرهم بالمعاني الجيدة ، وأبرعهم في انتقائها ، وأقدرهم على التصرف بها  
زيادة ونقصاً وتوليداً وقلباً ، وأحذقهم صوغاً وتأليفاً .

وقد شهد له فربق كبير من خصومه بتفوقه في مواطن كثيرة على من زعموا أنه  
أخذ منه في قوة السبك ، وروعة الألفاظ ، وجمال المعاني .

ولو ادعى مدعي أن هذا الحكيم المعلوم أو المجهول خلقه حساد المتنبي ونسبوا إليه  
تلك الأقوال ليسلبوه محاسنه ، لكان ذلك غير بعيد ، ولشهد له ما في أقوال أولئك  
الحكماء من الركاكة في التأليف ، والتقصير عن الإحاطة بالمعنى ، وإن جاء بعضها  
مسجماً .

ومن أمعن النظر في كلام أبي الطيب ، وكلام ذلك الحكيم يتضح له في مواضع  
متعددة أن لا علاقة بين الكلامين إلا من حيث اشتراكها ببعض الألفاظ أو بطرف  
من المعنى ، وأن المعنى في شعر أبي الطيب أجل وأتم منه في كلام الحكيم ، والشواهد  
على هذا كثيرة ، منها قوله :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا  
قالوا : إنه من قول الحكيم : من صحة السياسة أن يكون الإنسان كلما ظهرت  
سنة عمل بها بحسب السياسة .

وعند التأمل لا يجد الباحث بين الكلامين رَجماً واشجعة ، ولا نسباً جامعاً ، ولا

رابطة بينهما إلا تعلق كل منهما بعمل الإنسان ، ولكن هذا العمل مختلف في كليهما جد الاختلاف من حيث الغاية والقصد والسبب والعلية ، وكذلك قوله :  
دع النفس تأخذ وصعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر  
قالوا : إنه منقول من قول الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

والفرق بين المعنيين من حيث الصحة والجمال كالفرق بين اللفظين من حيث البلاغة وقوة الاسر ، وصفاء الدباجة ؛ فإن المتنبي يقول : أعط نفسك حظها قيل أن تعوت ، فإن الحياة لا تدوم ، والحكيم يقول : لا تقصر عن أخذ لذتك فإنك تعدم تلك اللذة وتعدم صحة جسمك ، ولا علاقة لاحد هذين المعنيين بالآخر إلا من جهة الحظ على التمتع باللذة ، ولكن علة ذلك مختلفة في كليهما ، والامر المترتب على المخالفة مختلف فيهما أيضاً .

وهذا شأب أكثر الايات التي زعموا أنه أخذها من قول الحكماء ، وكثير من الايات التي ادعوا أنه صلتها من معاني الشعراء ، كقوله :

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواغم

قالوا إنه من كلام امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الدرّ فوق الإئتب منها لأثرا

وقد رأيت نحواً من ثلاثين شاعراً بين امرئ القيس والمتنبي أخذوا هذا المعنى

ولم يستطع أحد أن يوجد فيه بعد صاحبه مثل المتنبي ، وكذلك قوله :

له عسكر خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم يبق إلا حجاجه

صحاب من العقيان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقيتها صوارمه

وقوله في وصف جيش :

تمرّ عليه الشمس وهي ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم

إذا ضوءها لا يفي من الطير فرجة

تدور فوق البيض مثل الدراهم

قالوا إنه من قول أبي تمام :

وقد ظللت عقبان ربايته ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقا تل  
وأصل هذا المعنى للأفوه الاودي أخذه منه النابغة الذبياني فزاد فيه زيادة حسنة  
ثم نتابع عليه شعراء كثيرون مثل أبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما ثم جاء أبو تمام  
فزاد فيه ما زاده حسناً وجاء المتنبي فزاد فيه زيادة حسنة ولم يأخذ معنى أبي تمام كله  
بل وافقه في أصل المعنى المأخوذ عن النابغة والأفوه ثم فارقته في بقية المعنى وهو على غاية  
من الجودة ، ورحمة الله التي وسعت طائفة كبيرة من الشعراء الذين ألموا بهذا المعنى ولم  
يؤاخذوا به لا نضيق عن أبي الطيب .

وكان أبو الطيب سئل مرة عن انفاق الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان  
فربما انفق نوارد الخاطر كما يقع الخافر على الخافر . وهذا مما لا ريب فيه فانا قد نرى  
شاعراً وافق غيره في معنى من غير أن يطلع على شعره . ونرى أيضاً شاعراً اعجبياً  
قد هو افق شاعراً عربياً وبالعكس من غير أن يعلم أحدهما لغة الآخر فضلاً عن أن  
يطلع على شعره ويقتبس من معناه .

وليس القصد من كلامنا هذا أن نبرى المتنبي من السرقة للمعاني ، وانما نريد  
أن نبين أن كل ما نسب اليه من ذلك غير صحيح ، وأن دعوى خصومه مبالغ فيها ،  
وأن غيره شاركه في مثل هذا ولكن لم يكن له من الخصوم والمنتقدين  
ما كان للمتنبي .

وبعد كل ما تقدم فإننا لا ننكر أن المتنبي كان كما قال الخالديان كثير  
الرواية جيد النقد ، وقد أسلفنا قول ابن خلكان : إنه كان من المكثرين من نقل اللغة  
والمطلعين على غريبها وأنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب ؛ ولكننا  
ننكر أن يكون كل معانيه أو جلها مأخوذاً من غيره .

وأغرب من كل ما سبق ذكره ما ذكره بعض خصومه المتعنتين المنقبين عن  
سرفاته : وهو أن قصاراً كان يعمل على شاطئ نهر وكان يرى كل يوم كركياً  
يجيء فيلتقط من الحماة دوداً ويقتصر في القوت عليه ، ثم رأى الكركي يوماً  
صقراً ارتفع في الجو وانقض على حماة فاصطادها وأكلها ، فقال الكركي :  
مالي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسماً ثم ارتفع في



الجو وانتفض على حماة فأخطأها وسقط في الحماة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ، ولم يمكنه أن يطير فأخذه الصياد ورجع إلى منزله فاستقبله رجل فقال ما هذا فقال : كركي يتصقر ، فسمع المتنبي هذه الحكاية فأخذ منها معنى قوله :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وهذا البيت من قصيدة قالها حين هرب من مصر ووصل إلى الكوفة ، مطلعها :

الا كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدلي

يصف فيها رحلته ما بينها ولا نعلم في أي موضع سمع هذه الحكاية ، وقد كان فاراً من كافور يخبئ في مكان بعد آخر وليس يصحبه غير غلمانته ، فمن قص عليه ذلك ومن رواه عنه ؟ .

وهذا يؤيد ما قلناه أن خصومه لو استطاعوا لنسبوا كل معنى جيد في شعره إلى غيره ، ولذلك قال ابن نباتة في مترح العيون : وهذا من نوادر المنقبين على سرقات المتنبي ، ومن نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود .

### ثقافته العلمية ومصادرها

وأما ثقافته العلمية فهي أشد غموضاً من سابقتها وأخفى طريقاً وأقل عناية في كلام المتقدمين .

وقد كان أبو الطيب في عصر زخرت فيه بحور العلم وانتشرت كتب الفلسفة وفشت فيه آراء الحكماء والفلاسفة والزنادقة ، وأصحاب الأهواء والنجل بين طبقات العامة والخاصة .

ومن استقرى كلامه ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية والإلماح إلى بعض المذاهب ، وما يعتقده بعض الفرق في الأفلاك العلوية ونحو ذلك كقوله :

تخالف الناس حتى لا انفاق لهم إلا على شجب وإخلف في الشجب

فقبل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإن فيه إشارة إلى اختلاف الكعبة في فناء الجسم والروح معاً ، أو في فناء الجسم

وحده ، وكلاهما قول لبعض الحكماء ، وأبو الطيب وقف بين المعجز والتمعيب ولم يصرح بما ارتضاه من القولين على ما في كلامه من احتمال : قبول للتأويل .

وقوله من قصيدة يعزي بها عضد الدولة بعلمته :

نحن بنو الموتى فما بالناس نغاف ما لا بد من شربه  
تبخل أبدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه  
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

فإن فيه إشارة إلى مذهب القائلين أن الروح جوهر لطيف يعهد إلى الجوه بعد مفارقة الجسم ، وإن الجسم جوهر كثيف يعود إلى عنصره الأول ، ويصلح أن يكون فيه إشارة إلى مذهب القائلين أن المادة تبقى ولا تفتنى .

وقوله في هجو كافور :

ألا فتى يورد الهندي همامته كجيا تزول شكوك الناس والتهم  
فإنه حجة يؤذي القلوب بهسا من دينه الدهر والتعطيل والتقدم

فإن فيه إشارة إلى مذهب الدهرية القائلين إن العالم موجود أزلا وأبداً ، لا ضائع له ، والمعطلة القائلين إن العالم فارغ عن صنائع ألقته وزينه . وقوله في مدح كافور :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

فإن فيه إشارة إلى مذهب المانوية القائلين إن مبدأ هذا العالم كونان أحداهما نور والآخر ظلمة ، وإن الخير من النور والشر من الظلمة .

وقوله من قصيدة يمدح بها ظاهر العلوي :

إذا علوي لم يكن مثل ظاهر فسا هو إلا حجة للنواصب

فإن فيه إشارة إلى فرقة يقال لها الناصبية وهي تدين ببغضة علي بن أبي طالب .

وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإيمنا بقظات العين كالخلم

فإن فيه إشارة إلى مذهب السوفسطائية المنكرين لحقائق الأشياء ، وقد استدل

فريق بهذا البيت على أن المتنبي كان يعتقد هذا المذهب كما استدل آخرون بقوله :

تمتع من سهاد أوزقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام  
فإن لثالث الخالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام  
على أنه كان يدين بالتناسخ الذي يقول أصحابه إن الروح تنتقل من جسم إلى  
آخر مكافأة لصاحبه على خير قدمه ، أو مجازاة على شر اجتزمه . وقوله:  
يقولون تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب

وقوله :

وقد زعموا أن النجوم خوالد ولو حاربته ناح فيها الثواكل

وقوله :

فنبأ لدبن عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقل  
فإن في هذه الأبيات الثلاثة إشارة الى مذاهب بعض الحكماء ، وما يعتقدونه في  
الكواكب العلوية من تأثير في عالم الارض ، وقد يستلزم اخلود لها . وإثبات العقل  
لها وإشارة إلى أن كلمة القوم لم تنفق على ذلك ، وان لكل معتقد من يخالفه ، ولهذا عبر  
بكلمات : يقولون وزعموا ، ومن يدعي ، ولم يبين رأيه في ذلك ، ولكن التعبير بالكلمات  
السابقة يدل على أنه لا يشابع هذه الفرق في اعتقادها هذا .

ووقع في شعره ذكر رجال من الحكماء المشهورين في مثل قوله :

يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبه

وقوله :

من مخبر الأعراب أني بدهم شاهدت رصطاليس والاسكندرا  
وصمت بطليموس دارس كتبه متملكا متبديا متحضرا

وقوله :

إذا دنا هفا بقراط عنه فلم يعرف لصاحبه ضريب  
وربما جرى على طريقة الحكماء في الاستدلال والتعليل كقوله :  
إذا غاصرت في شرف مسوم فلا نفعن بما دون النجوم

فطمع الموت في امر حقير كطمع الموت في أمر عظيم  
وقوله :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً  
وقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إسلاماً  
ومن تذبذب كلام أبي الطيب بإمعان ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية ، مما يدل على أنه كان مطلعاً على شيء من هذا العلم عارفاً بأخبار رجاله ، وما اشتهر به كل منهم من الخصائص ، عارفاً بمذاهبهم واختلافهم في فناء الروح والجسم وبقائهما وما يعتقدونه فريق منهم في النجوم وما شا كل ذلك .

والكنه لا يوجد فيه كل نوع من أنواع الفلسفة العلمية والعملية ، بل لا يكاد يوجد للفلسفة الطبيعية والرياضية والالهية إلا أثراً ضئيلاً يترأى في الأبيات المقدمة وأشباهاها . ومثل هذا القدر يجوز أن يكون شائعاً في الحكمة بعد أن اطلع على أقوالهم أو سمعها ، ولكنه لا يدل على أنه درس هذا العلم درساً وافياً واتخذ لنفسه فيه طريقاً اختص به كما يفعله الراسخون في هذا العلم .

فلم يبق من الأقسام التي برع فيها براعة فائقة إلا طرف من الفلسفة العملية وأكثره مما يتصل بالأخلاق ، وليس له فيه نظريات يثبتها بالبراهين وآراء يدعمها بالأدلة وإنما هي مجمل محكم رائعة بليغة ينطق بمثلها الحكماء إذا تصدوا للبحث في الأخلاق وإن كان كلامهم أدنى في باب البلاغة من كلامه .

وليس حكمة كلها مقبسة من كلام الحكماء ولا كلها خطرات نفسية ، وإنما هي مزيج مما اقتبس من غيره ومما هدته إليه فطرته وأرشدته إليه تجاربه .

ولعل أعظم مصدر لحكمته هذه هو حياته لأنه تماقبت عليه أطوار من الحياة مختلفة الأشكال من سعادة وشقاء وفاقية ورخاء وروعة وأمن وقد جرب الناس وذاتهم وأكلامهم ودرس الحياة درساً دقيقاً وافياً واستقصى كثيراً من سجايا الناس وطباعهم ونهى عليهم كثيراً منها ، وقد كان جيد البعد دقيق الحس شديد الطموح إلى الإمارة شديد الاعتداد

بنفسه عظيم الاعجاب بشعره محباً للجمال حباً جماً مشيداً في سبيله مفتوناً بالقوة منذ الحداثة  
كثير التفتي بها فأثرت هذه العوامل المختلفة في نفسه وكان من أثرها ما تمثله لبيانه في  
لهكمة كقوله :

أذم الى أهل الزمان أهيله      فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد  
وأكرمهم كلب وأبصرهم عمه      وأسهدهم فهد وأحجمهم فرد

وقوله

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى      عدوآله ما من صداقته بد

وقوله :

وإنما نحن في جيل سواسية      شرت على الحر من منكم على بدن

وقوله :

إنما أقس الأنيس سباع      بفارسن جرة واعتبالا  
من أطاق الناس شيء غلابا      واعتصابا لم ياتمنه سؤالا  
كل غادر لحاجة يسمي      أن يكون الفضنر الزئبالا

وقوله :

كل حلم أتى بغير اقدار      حجة لاجي إليها اللئام

وقوله :

عش عزيزاً أومت وأنت كريم      بين طعن القنا وخفق البنود  
فرووس الرماح أذهب للغيظ      وأشقى لغيل صدر الحسود  
فاطلب المز في لظى وذرا      ذل وإن كان في جنان الخلود  
يقفل العاجز الجباب وقد يمجز      عن قطع بمنق المولود  
ويوقى التقي الخش وقد خوض      في ماء لبة الصنديد

وقد يجيد الباحث في شعره غير ما تقدم كثيراً من الاشارات الى المصطلحات الفقهية.

كقوله :

وأخ لنا بمث الطلاق ألية  
فجعلت ردي عرسه كفارة  
لأعلان بيذه الخرطوم  
في شربها وشربت غير أئيم

وقوله :

إذا ما فارقتني غسلي  
كأنا ط كفان على حرام

وقوله :

شيخ يري الصلوات الخمس نافلة  
ويستحل دم الحجاج في الحرم

وقوله :

وزارك بي دون الملوك تحرثي  
وكذلك يجحد كثيراً من أسماء الأمم والقبائل والرجال الذين اشتهروا في التاريخ  
بحوادث معروفة كقوله :

فكان كل سحابة و كانت بها  
تبكي بعيني عسوة بن حزام

وقوله :

لو كان صادف رأمن عازر سيفه  
ويجد كثيراً من أسماء الاماكن من اودية وجبال وهضبات وانهار ومياه وقرى وامصار  
كما يتمثل ذلك في قصيدته التي قالها عند رجوعه من مصر ويوصوله الى الكوفة وغيرها  
ويجد كثيراً من أسماء الكواكب وما يتعلق بطلوعها وغروبها من الحوادث المزعومة  
كقوله :

وتنكر موتهم وانا سهيل  
طلعت بموت اولاد الزناء

وقوله :

أحبك يا بدر الزمان وشمسه  
وهذا وادشاله يدل على ان ابا الطيب كان عارفاً بعلوم الدين علماً بأيام الناس واخبارهم  
واسع الاطلاع على التاريخ وعلى تقويم البلدان عالماً بكثير من الامكنة وما يتصل بها  
من حوادث. ملماً بمعرفة الافلاك وما يرتبط بها مما كان يعتقد اهل عصره .

ولولا خشية الاطالة لاوردنا امثلةً متعددة تدل على علو كعبه في كل ما تقدم .  
 ولعل في هذا القدر ما يبين ان المتنبي وُلد ونشأ وشب ودرس وقال الشعر الجيد في  
 الكوفة وانه استمد ثقافته اللغوية والادبية من الكتاب والاعراب و كتب الوراقين  
 واقوال الشعراء والحكماء المعلومين والمجهولين ، وثقافته العلمية من مصادر سبق ذكرها  
 ومن مصادر أخرى لم يسمح الزمن بكشف النقاب عنها بعد ، ومن العلوم اللسانية والشرعية ،  
 وأن فلسفته تكاد تنحصر فيما يتصل بالاخلاق ، وأنه استمدّها من حياته وفطرته وتجاربه  
 وأمدّها بما اطلّم عليه من كلام الحكماء ، وان ثقافته على علانها عالية جداً لا سيما الادبية  
 وقد ظهرت آثارها في ابيات من شعره بلغت الغاية القصوى في طلاوة التركيب ونبالة  
 المقصد والاعجاز في الايجاز وقد قدرها اهل الفضل حتى قدرها منها قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراق على جوانبه الدم  
 قال ابو الفتح بن جني : اشهد بأنه لو لم يقل إلا هذا لكان اشعر المجيدين وكان  
 له ان يتقدم عليهم . وقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يبيت إبلام  
 قال المكبري : هذا من احسن الكلام ، ولو خر من بعده لكفاه . وقوله :  
 ألف هذا الهواء اوقع في الاقس ان الحمام مرّ المذاق  
 والامى قبل فرقة الروح عجز والامى لا يكون بعد الفراق  
 قال ابو العلاء المهرلي : ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال .  
 وقوله الذي قال فيه ابو العباس النامي : كنت اشتهي أن أسبته إلى معنيين فاطهما ما سبق  
 اليهما ، احدهما :

رماني الدهر بالارزاء حتى فوأي في غشاء من نبال  
 فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال

والثاني :

في جحفل صتر العيون غباره فكأنما يبصرن بالأذان  
 وكان النامي عاتب سيف الدولة لتفضيله المتنبي عليه وسأله عن سبب ذلك فأمسك

عن الجواب ، فلما ألح عليه قال له : لأنك لا تحسن أن تقول كقوله ( أي المتنبي )  
 يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أخذ إليه غير محتفل  
 والكثيرة ما في شعره من العيون والمقلدات ، لا يكاد الانسان يستطيع أن يعلم ما هو  
 الأفضل فيه . فله في باب الغزل أبيات فذة كقوله :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يفري بي  
 وقوله :

وخصر تثبت الاحداق فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقوله :

صفت ويرقعها الحياء بصفرة صنت محاسنها ولم تك برقعها  
 فكأنها والدمع بقطر فوقها ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا  
 كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا  
 واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

وقوله :

حسان المتنبي بنقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواغم  
 ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم  
 وله في المدح أبيات منقطعة القرين كقوله في مدح علي بن إبراهيم التميمي :  
 كأن الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد  
 وقد صفت الأسننة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد  
 وقوله في مدح عضد الدولة :

حى أطراف فارس شمري يحض على التباقي بالتفاني  
 بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالث والمثاني  
 فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان

وقوله في مدح سيف الدولة :

تدوس بك الخيل الوكور على الدرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم  
 إذا زلقت مشيتها يطونها كما تشمسي في الصعيد الاراقم



وله في باب الوصف ما يقصر عن إدراكه المتناول اليه كقوله في وصف خيمة  
كان تحتها سيف الديلة :

عليها رياض لم تحكها سحابة      وأغصان دوح لم تغن حمامه  
وفوق حواشي كل ثوب وجهه      من الدر سمط لم بثقبه ناظمه  
ترى حيوان البر مصطلحاً بها      يجارب ضد ضده وبساله  
إذا ضربته الريح ماج كأنه      تجول مذاكبه وقد أضرانمه

وقوله في وصف أغصان شعب بوان :

غدونا تنفض الأغصان فيها      على أعرافها مثل الجمان  
فسرت قد حجب الشمس عني      وجئن من الضياء بما كفاني  
والتى الشرق منها في بناني      ذئابراً نقر من البنات  
لها ثمر تشير اليك منها      بأشربته رقتن بلا أوان

وله كثير من الوصف الرائع في وصف الأسد والصيد والخيل والحرب وغيرها .

### الخلاصة

صفوة القول أن أبا الطيب أمة وحده في شعره وأدبه وحكمته وان محاسنه لا تكاد

تخصى وطرائفه لا تستنصى .

وان هذا الموضوع على قلة مظانه مترامي الأطراف صعب المراس يفقر الى معارضة  
الآيات التي قالها بالأبيات التي زعموا انه اخذ منابه منها وببانت ما بينها من الفروق  
وايراد الشواهد من كلامه لتأيد ما اسلفنا ذكره .

وهذا كله يستدعي زمناً طويلاً ، ولكن ضيق الوقت المحدود تجبرنا واسعاً واضطرونا  
الى أن نبلغ بالايجاز درجة الإغراق ، وان نحشر المباحث الواسعة في عناوين ضيقة ، وندمج  
نوعاً من ثقافته في آخر ، وان نضرب ، فمما عن ايراد آيات آخر من شعره من المثل الاعلى  
في ثقافته الادبية والعلمية ، حتى جاءت كلمتنا هذه كقائمة التجار يسرد فيها أعداد الثياب  
والسكن لا يبين فيها ما لكل واحد منها من الخصائص والمميزات ولا ما في كل منها من  
روعة في الوشي ودقة في الصنعة وجمال في الهيئة والشارة .

وعسى ان تسامح الأيام بوقت يتسع لتوفية هذا الموضوع حقه والسلام عليكم .

سليم الخندي